المحاضرة الأولى

أولا : مدخل إلى تاريخ وحضارة المغرب الاسلامي والأندلس.

1. التسمية والإطار الجغرافي :

تعددت المصطلحات التي استخدمها المؤرخون والباحثون للدلالة على بلاد المغرب، وتعددت أيضا مجالات استخدامها وتطورت مدلولاتها من عصر تاريخي إلى آخر، ولم تكن هذه التسميات محل اتفاق بين المؤرخين، مما جعل بعضهم يعتبرها بلادا بدون اسم.[1] فقد أطلق الإغريق واللاتين قديما اسم ليبيا على المنطقة الواقعة إلى الغرب من نهر النيل،[2] وهي تمتد من غرب مصر إلى البحر الكبير (المحيط الأطلسي).[3] أما الفينيقيون الذين حلوا بشمال افريقيا منذ القرن الثاني عشر ق. م. وأسسوا فيها عدة مدن ومراكز تجارية، مثل أوتيكا، وقرطاجة،[4] فقد أطلقوا على سكان البلاد الأصليين الذين كانوا يسكنون حول مدنهم، اسم أفري (Aphri)، ومن ثم سميت المنطقة الممتدة من حدود مصر الغربية إلى المحيط الأطلسي باسم افريكا (افريقية) أي بلاد الأفري.[5] وربما هم الذين سماهم ابن عبد الحكم بالأفارقة، وقال عنهم أنهم من نسل فارِق بن بَيْصَر، و"بالأفارقة سميت افريقية"[6]. ولا يوجد اتفاق بين الباحثين عن أصل هذه التسمية، فبينما يرى بعضهم أن كلمة أفري اشتقت من افريكا، يرى آخرون العكس، أي أن كلمة افريكا (افريقية) اشتقت من أفري.[7] وتكاد المصادر العربية أن تتفق على أن أصل التسمية يعود إلى ملك عربي قدم إلى

---

[1] Gautier E. F., L'Islamisation de l'Afrique du nord les siècles obscurs du Maghreb, Payot, Paris, 1927. p. 7.

[2] حارش محمد الهادي، التاريخ المغاربي القديم، السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، (د م)، (د ت). ص 21.

[3] لقبال موسى، المغرب الاسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج سياسة ونظم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 2، الجزائر، 1981. ص 13.

[4] غانم محمد الصغير، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1979. ص 94.

[5] مؤنس حسين، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د. ت.). ص 2.

[6] ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، (د ت). ج 1، ص 248.

[7] لقبال موسى، مرجع سابق، ص 13؛ حارش محمد الهادي، مرجع سابق، ص 25.

المنطقة من اليمن، يسمى افريقش بن أبرهة بن الرائش،[1] ومن الباحثين المحدثين من يعتبر أن افريقش شخصية أسطورية لا وجود لها.[2]

وبعد تهديم الرومان لمدينة قرطاجة سنة 146 ق. م، واحتلالهم للمنطقة أخذوا عن الفينيقيين هذه التسمية، ولكنهم أطلقوها على المنطقة التي استولوا عليها من القرطاجيين فقط، وحولوها إلى مقاطعة رومانية (Provincia Africa).[3] وهي تشمل الأجزاء الشرقية والداخلية من أراضي الجمهورية التونسية الحالية،[4] أو الثلث الشمالي الشرقي من القطر التونسي، وتمتد من مصب الوادي الكبير (Tusca) قرب طبرقة، إلى جنوب طبنة على السرت الصغير أي خليج قابس، وتقدر مساحتها بحوالي خمسة وعشرين ألف كلم متر مربع. وقد عرفت باسم ولاية افريقية الرومانية (Africa Romana)[5] أو افريقية البروقنصلية (Africa proconsularis).[6] ولم يشمل هذا المصطلح الممالك التي كانت مستقلة عن الامبراطورية الرومانية، وهي نوميديا (الجزائر الشرقية)، وموريطانيا القيصرية (الجزائر الغربية) وعاصمتها شرشال (Caesarea)، وموريطانيا الطنجية (المغرب الأقصى) وعاصمتها طنجة (Tingi).[7] غير أن الاستعمار الروماني لم يتوقف عند الحدود الموروثة عن القرطاجيين فقط، بل توسع على حساب هذه الممالك ومناطق أخرى وأخضعها جميعا إلى سلطته، وفي حدود سنة 40 م، كان مصطلح افريقية البروقنصلية يطلق على المنطقة الممتدة من طرابلس في ليبيا إلى مليلية في المغرب الأقصى، وقد ظلت هذه الحدود تتغير تبعا للظروف

---

[1] ابن الفقيه (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمذاني (ت 340 هـ))، كتاب البلدان، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، 1996. ص 132؛ المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ت 346 هـ))، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس، ط 5، بيروت، 1983، ج 2، ص 87؛ الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ))، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2008. ج 1، ص 184؛ ابن خلدون (عبد الرحمن (ت 808 هـ))، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983. مج 6، ق 1، ص 26، 176.

[2] حارش، مرجع سابق، ص 24.

[3] المرجع السابق، ص 181.

[4] مؤنس حسين، مرجع سابق، ص 2.

[5] صفر احمد، مدنية المغرب العربي في التاريخ، دار النشر بوسلامة، تونس، 1959. ج 1، ص 295؛ شنيتي محمد البشير، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146-ق.م/40م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 2، الجزائر، 1985. ص 55.

[6] شنيتي محمد البشير، مرجع سابق، ص 79؛ مؤنس حسين، مرجع سابق، ص 2.

[7] صفر أحمد، مرجع سابق، ص 292.

السياسية والعسكرية.[1] وفي العهد البيزنطي اتسع مدلول لفظ افريقية البروقنصلية، فأصبح يشمل كل المنطقة الساحلية الممتدة من برقة إلى المحيط الأطلسي.[2]

ولما وصل المسلمون إلى شمال افريقيا في القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، أخذوا عن البيزنطيين كلمة افريقية، وظلوا يطلقونها على كل ما يلي مصر غربا، حيث ذكر أبو عبيد البكري الأندلسي (ت 487هـ/1094م)، أن : "حد افريقية طولها من برقة شرقا إلى طنجة الخضراء غربا وعرضها من البحر إلى الرمل التي في أول بلاد السودان ..."[3] ويبدو أن هذه المساحة الشاسعة قد تقلصت فيما بعد، وظهرت تسميات ومصطلحات أخرى أطلقت على المنطقة، إذ أورد ياقوت الحموي (ت 626هـ/1229م) في معجمه أن : "حد افريقية طولها من طرابلس الغرب من جهة برقة والإسكندرية إلى بجاية وقيل مليانة"[4]. وهذا يدل على أن برقة لم تعد جزءا من افريقية فإما أنها ألحقت بمصر أو أصبحت ولاية قائمة بذاتها. ومع مرور الوقت، تقلص مدلول افريقية، وأصبح المقصود به فحص القيروان، أو المنطقة التي عرفت فيما بعد بالمغرب الأدنى.[5]

وفي الوقت نفسه الذي استخدم فيه المسلمون مصطلح افريقية فإنهم استخدموا مصطلحا آخر انفردوا به بين الشعوب والأمم التي سبقتهم، وهو مصطلح المغرب ولم يكونوا في بداية الأمر يقصدون به بلدا معينا بل أرادوا به المدلول اللغوي، "الغرب خلاف الشرق، وهو المغرب".[6] فالمشرق عندهم بلاد الصين وخراسان والهند وشبه الجزيرة العربية والعراق، وكل ما وقع إلى الغرب من هذه البلدان يعتبر مغربا بما في ذلك بلاد الشام.[7] ويبدو أن إطلاق مصطلح المغرب على منطقة شمال افريقيا أو جزء منها يعود إلى القرن الثالث الهجري، فقد ذكر ابن عبد الحكم (ت 257هـ/871م) –وهو أقدم مصدر عن الفتوح– أن

---

[1] حارش محمد الهادي، مرجع سابق، ص 186؛ صفر احمد، مرجع سابق، ج 1، ص 306.

[2] مؤنس حسين، مرجع سابق، ص 2؛ لقبال موسى، مرجع سابق، ص 14؛ حارش محمد الهادي، مرجع سابق، ص277-282.

[3] البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت 487هـ))، المسالك والممالك، حققه جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003. ج 2، ص 193.

[4] الحموي، مصدر سابق، ج 1، ص 184.

[5] لقبال موسى، مرجع سابق، ص 14

[6] ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ))، لسان العرب، دار صادر، بيروت (د ت). مج 1، ص 637؛ الحموي، مصدر سابق، ج 8، ص 291.

[7] ابن خرداذبه (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت 280 هـ))، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، 1889. ص 18-73.

معاوية بن حديج خرج إلى المغرب[1] للفتح ولم يقل إلى افريقية. وعلى منواله سار البلاذري (ت 271هـ) إذ يقول : "لما فتح عمرو بن العاص الإسكندرية سار في جنده يريد المغرب حتى قدم برقة"،[2] ويذكر ابن خرداذبه (ت 280هـ) أن القيروان "مدينة افريقية وهي في وسط المغرب وهي في يد ابن الأغلب"،[3] مما يدل أن مصطلح المغرب أطلق خلال القرن الثالث الهجري على المنطقة الواقعة غرب مصر أو غرب طرابلس.

ويختلف الجغرافيون المسلمون في تحديد الإطار الجغرافي لبلاد المغرب، فعند المقدسي (ت 380 هـ) هي تمتد من برقة إلى السوس الأقصى،[4] وتتقلص هذه المساحة عند الحموي فهي تمتد من "مدينة مليانة إلى آخر بلاد السوس التي وراءها البحر المحيط وتدخل فيه جزيرة الأندلس"،[5] أما ابن عذارِى المراكشي الذي يعتبر من المصادر المتأخرة، فيحدد حدود بلاد المغرب بقوله : "إن حد المغرب هو من ضفة النيل بالإسكندرية التي تلي بلاد المغرب، إلى آخر بلاد المغرب، وحده مدينة سلا"[6]. ولا يمكن سرد كل ما ذكرته المصادر حول حدود بلاد المغرب ولكنها تتفق في معظمها على أن حدودها الشرقية تبدأ عند هضبة برقة وتنتهي عند مدينة سلا المغربية.[7]

والخلاصة أن لفظ المغرب انتهى عند الجغرافيين والمؤرخين المسلمين إلى أن يشمل كل ما يقع غرب مصر حتى المحيط[8] ثم يقسمونه إلى أجزاء، هي برقة، وطرابلس وافريقية والمغرب الأوسط ثم المغرب الأقصى فالسوس.[9] ولذلك سنستخدم لفظ المغرب الاسلامي للدلالة على الاقليم الممتد من غرب مصر إلى المحيط

---

[1] ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج1، ص 260؛ لقبال موسى، مرجع سابق، ص 15.

[2] البلاذري (أبو العباس أحمد بن يحي بن جابر (ت 271هـ))، فتوح البلدان، حققه عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1987. ص 314.

[3] ابن خرداذبه، مصدر سابق، ص 87.

[4] المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، 1906. ص 216.

[5] الحموي، مصدر سابق، ج 8، ص 219.

[6] ابن عذارِى المراكشي (ت 695 هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان و إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط 2، بيروت، 1980. ج 1، ص 5.

[7] بن عميرة محمد، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008. ص 29.

[8] Gautier E. F., op. cit., p. 7.

[9] مؤنس حسين : مرجع سابق، ص 4.

الأطلسي أما مصطلح الغرب الاسلامي فيقصد به : المغرب، الحوض الأوسط والغربي للبحر المتوسط، والأندلس، والصحراء الإفريقية، وغرب إفريقيا الإسلامي.

2. الإطار البشري :

سكن بلاد المغرب قبل الفتوحات الاسلامية ثلاث طوائف هي : الروم والأفارقة والأمازيغ.

- **الروم** : هم الذين قدموا مع الاحتلال الروماني والبيزنطي، واستوطنوا عدة مناطق من شمال افريقيا، وكانوا يحتكرون السلطة، ويعتنقون المسيحية، وقد اختفوا بعد الفتح الاسلامي.
- **الأفارقة أو الأفارق** : تسميهم بعض المصادر العربية بعجم افريقية أو الأفارقة الأعاجم[1]، هم خليط من الأجناس، يتكون من بقايا الفينيقيين والمستعمرين الرومان، وخدامهم من المزارعين والصناع، وقليل من الأمازيغ الذين دخلوا في طاعة البيزنطيين. قال عنهم ابن عبد الحكم أنهم : "كانوا خدما للروم على صلح يؤدونه إلى من غلب على بلادهم"[2]. كان الأفارقة يتركزون في المناطق الساحلية القريبة من المدن البيزنطية أو السهول والأراضي الزراعية الخاضعة للبيزنطيين. وكان ولاؤهم غالبا لمن يسيطرون على المنطقة، وخضعوا حينا من الدهر للبيزنطيين وعنهم أخذوا المسيحية، ومظاهر الحياة الرومانية، وقد اعتنق بعضهم الإسلام.[3]
- **الأمازيغ** : وهم السكان الأصليون للبلاد وأقدم وجودا من الروم والأفارقة، وقد اشتهروا في المصادر والمراجع باسمين هما :

---

[1] اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت 248 هـ))، دار الكتب العلمي، بيروت، (د ت). ص 187؛ ابن خرداذبه، مصدر سابق، ص 86؛ ابن عِذارِى، مصدر سابق، ج 1، ص 38؛ ابن خلدون، مصدر سابق، مج 6، ق 1، ص 219.

[2] ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج1، ص 229.

[3] لقبال موسى : مرجع سابق، ص 16؛ مؤنس حسين : مرجع سابق، ص 5.

1 – البربر : وهي كلمة لا تعني جنسا معينا، بل هو لفظ أطلقه اليونان على كل أجنبي عنهم لا يتكلم الإغريقية، وأطلقوه أيضا على سكان إيطاليا، فقد كانت تسمى عندهم "بربايا،"[1] واتخذ الإيطاليون هذه التسمية فأطلقوا اسم البربري على كل من ليس يونانيا ولا إيطاليا، ولم يكن خاضعا لسلطانهم ...[2]

ولما وصل المسلمون إلى المنطقة خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي أخذوا عن غيرهم هذه التسمية لذيوعها واشتهارها. وعند ابن خلدون أن الملك افريقش لم يفهم لغة القوم الذين حل بينهم، فتعجب وقال : "ما أكثر بربرتكم فسموا بالبربر، والبربرة بلسان العرب هي اختلاط الأصوات غير المفهومة"[3]. ويرى بعض المؤرخين أن كلمة بربر هي اسم صوت، لأنهم عندما يتكلمون يكررون حرفي الباء والراء كثيرا[4]. أما هؤلاء فإنهم يعرفون أنفسهم بأسماء شعوبهم وقبائلهم.[5]

2 – الأمازيغ : وهو اسم انتشر بشكل واسع في بلاد المغرب، مما جعل البعض يعتبره الاسم الحقيقي لسكان شمال افريقيا، وأن كلمة مازيغ أو أمازيغ تعني النبيل أو الحر[6].

أما عن أصلهم فقد تعددت الروايات والتفسيرات،[7] ويبدو أن الأقرب إلى الصواب هو ما ذهب إليه ابن خلدون أن البربر نزحوا إلى شمال افريقيا منذ ثلاثين قرنا قبل الميلاد قادمين من بلاد كنعان أي فلسطين أو ما جاورها، أو ربما من بيت المقدس هاربين أمام داود (عليه السلام) حين غلبهم[8]. وبعد أن سرد مختلف الأقوال والآراء حول نسبهم وأصولهم، فقد انتهى إلى التأكيد على أنهم اكتسبوا هذا الاسم من أبيهم مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح[9].

3. أوضاع بلاد المغرب قبل الفتوحات الاسلامية

---

[1] الجيلالي عبد الرحمن محمد، تاريخ الجزائر العام، منشورات دار مكتبة الحياة، ط 2، بيروت، 1965. ج 1، ص 48.

[2] نفسه.

[3] ابن خلدون، مصدر سابق، مج 6، ق 1، ص 176.

[4] الشعراوي احمد إبراهيم، دور العرب في بلاد المغرب والأندلس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2015. ص 14.

[5] مؤنس حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، (د ن)، (د م)، 2004. ص 28.

[6] حارش محمد الهادي، مرجع سابق، ص 26.

[7] انظر هذه الآراء والنظريات مفصلة في : المرجع السابق، ص 27-33.

[8] ابن خلدون، مصدر سابق، مج 2، ق 1، ج 3، ص 20-21.

[9] نفسه؛ مج 6، ق 1، ص 191.

أ – الوضع السياسي :

قبل وصول المسلمين إلى بلاد المغرب، كان يحكم افريقية بطريق يسمى جريجوريوس (Grégoire) وقد ورد في المصادر العربية باسم جرجير، وهو آخر حاكم بيزنطي في شمال افريقيا، وقد شق عصا الطاعة على حكومة بلاده محاولا الاستقلال عنها، مستغلا في ذلك ضعف الحكومة المركزية في القسطنطينية وعدم قدرتها على الدفاع عن المناطق والمقاطعات التابعة لها، ومستعينا ببقايا جند الروم، وما استطاع تجنيده من مرتزقة أفارقة وبربر. وكان يتهيأ لتأسيس دولة يتولى حكمها بنفسه في شمال افريقيا،[1] وكان يخشى أن يتعرض لهجوم بيزنطي يأتيه عن طريق البحر، فنزح نحو الجنوب وغير عاصمته من قرطاجة إلى سبيطلة[2] الواقعة جنوبا وتحصن بها. في هذه الأثناء كانت الفتوحات الإسلامية قد وصلت إلى الشام ومصر، وأخذ المسلمون يستعدون لفتح برقة وهي مدخل بلاد المغرب.

ب – الوضع الاقتصادي :

كانت الزراعة النشاط الاقتصادي الرئيسي لسكان بلاد المغرب، وقد اهتموا أكثر بزراعة القمح وأشجار الزيتون والكروم، غير أن الروم كانوا يحتكرون الملكيات الكبرى والمساحات الشاسعة، ولم يتركوا للفلاحين المغاربة إلا النزر اليسير من الأراضي الصالحة للزراعة، ولذلك فإن أغلب الأهالي والفلاحين كانوا عمالا أو عبيدا في مزارع البيزنطيين. ورغم أن النشاط الزراعي طغى على الأنشطة الاقتصادية الأخرى، فهذا لم يمنع وجود نشاطات حرفية متنوعة مثل صناعة الأنسجة والفخار والخزف التي كانت مكملة للنشاط الزراعي.[3] كانت التجارة من النشاطات الاقتصادية التي ازدهرت قبل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، حيث ساهمت هذه المنطقة في تجارة البحر المتوسط، إضافة إلى مساهمتها في التجارة الداخلية إذ كان البربر يسيطرون على طرق التجارة الصحراوية.[4]

---

[1] Diehl Charles, L'Afrique byzantine histoire de la domination byzantine en Afrique (533-709), Ernest Leroux éditeur, Paris 1896. p. 555.

[2] سُبَيْطِلَة : مدينة من مدن افريقية وهي كما مدينة جرجير الملك الرومي وبينها وبين القيروان حوالي مائة وستة كلم. (نظر : الحموي، مصدر سابق، ج 5، ص 20).

[3] حارش محمد الهادي، مرجع سابق، ص 204-211.

[4] طه عبد الواحد ذنون، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال افريقيا والأندلس، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004. ص 48-61.

أما بالنسبة للنظام المالي البيزنطي في بلاد المغرب فقد اعتمد بشكل أساسي على جباية الضرائب، لأن طبيعة الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب جعل السلطة الحاكمة تقتصر على السياسة الدفاعية مثل بناء القلاع والحصون، مما جعل إدارتها تستعمل المصادر المالية الضريبية لتمويل مشاريع ونشاطات الأشغال العمومية والمنشآت العمرانية، وحتى المساهمة في تمويل مشاريع السياسة الدينية، وتخصيص جزء من تلك المصادر لدفع رواتب العاملين في الإدارة البيزنطية، ونفقات الحروب ورواتب الجند، إضافة إلى ما يدفع لرؤساء البربر لضمان ولائهم. ويستنتج من ذلك أن الضرائب كانت ثقيلة ومتنوعة لأن الحاكم البيزنطي المحلي كان مكلفا من الحكومة المركزية في القسطنطينية بجمع أموال طائلة، وكثيرا ما كان يغالي في تقرير الضرائب، ويستعمل العنف لجبايتها.[1] ومن الطبيعي أن تؤدي هذه الطريقة في جباية الضريبة إلى تدهور العلاقة بين الأهالي والحكام البيزنطيين.

ج – الوضع الاجتماعي :

يعتمد التنظيم الاجتماعي للبربر على التنظيم القبلي، ويميز النسابة بين قسمين من البربر هما :

- **قبائل البرانس** : ينسبون إلى برنس بن بر بن مازيغ، غلب عليهم طابع الاستقرار والتحضر وممارسة الزراعة.[2] ومنهم : مصمودة، وازداجة، وأوربة، وعجيسة، وكتامة، وصنهاجة، وأوريغة، ولمطة، وهسكورة، وجزولة، وهوارة، وغمارة، ومسطاطة ...
- **قبائل البتر** : ينسبون إلى مادغيس الأبتر بن بر بن مازيغ، ويغلب على هذه المجموعة طابع البداوة والميل إلى الإغارة على ما يجاورهم من العمران وكانوا يسكنون الصحاري والواحات في الجنوب. ومن قبائلهم أداسة، ونفوسة، ونفزاوة، ومغراوة، ومطفرة، ومغيلة، ومكناسة، ومديونة، وزواغة، وضريسة، ولواتة، وزناتة ...[3]

ويرى بعض المؤرخين أن هذا التقسيم يعتمد على أسلوب الحياة والطابع الحضاري، فالفوارق بين المجموعتين هي فوارق اجتماعية لا جنسية أو عرقية، وليست ناشئة عن انتساب كل منهما إلى جد كما يذهب

---

[1] عيبش يوسف، الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب دراسة للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2009. ص 190-192؛ مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص 21-23؛ Diehl, op. cit., p. 320.

[2] لقبال موسى، مرجع سابق، ص 17.

[3] مؤنس حسين، فتح العرب، ص 6.

النسابون.[1] وربما يعود هذا التقسيم إلى مناطق استقرار البربر، حيث كانت معظم قبائل البتر تعيش في السهول الداخلية التي تتميز بمناخها المعتدل الحار، بينما كانت قبائل البرانس تعيش في مناطق الجبال الباردة. ويزعم بعض المؤرخين أن لفظتي البتر والبرانس اشتقتا من اللباس الذي يرتديه البربر. حيث كان سكان الجبال يرتدون برنسا كاملا، أي بغطاء الرأس، ومن هنا جاءت كلمة برانس، واكتفى سكان السهول بلباس برنس أبتر، أي من غير غطاء الرأس، ولهذا سموا بالبتر.[2] ولا يعترف المؤرخون الأوربيون بوجود برنس بن بر، ومادغيس الأبتر، ولا يعتمدون على هذا التقسيم في أبحاثهم ودراساتهم.[3]

ويوجد تشابه بين العرب والبربر في بعض الصفات والخصائص الاجتماعية، مثل الكرم، والشجاعة، وحدة المزاج، وحب النزال، والعصبية القبلية. ويعتقد البربر في الخرافات والسحر والشعوذة والتنبؤ ...، كما انتشرت بينهم أديان مختلفة، غير أن غالبية قبائلهم كانت وثنية، تعبد الكائنات والظواهر الطبيعية لاسيما في البوادي والجبال والصحراء،[4] ومنها من بقي على المجوسية ثلاثة قرون بعد الفتح، كما هو الحال بالنسبة للملثمين من صنهاجة "الموطَّنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب".[5] ومع هذا فقد اعتنق بعضهم الديانات السماوية، فانتشرت المسيحية بين البربر المستقرين بجوار البيزنطيين في المدن والسهول الساحلية، مثل قبائل زناتة في موريطانيا القيصرية، وقبائل أوربة في جبال الأوراس، ونفوسة في طرابلس. وانتشرت بين بعضهم اليهودية عن طريق التجار اليهود، مثل قبيلة جراوة، وبعض الجماعات من نفوسة في طرابلس، وفي المناطق الغربية من الشمال الافريقي، حيث ظلت باقية بعد الفتوحات الإسلامية. غير أن انتشار هذه الديانات كان انتشارا سطحيا ضعيفا، ولم يكن لها نفوذ وتأثير قوي على وجدان البربر، بدليل أن المسلمين لم يجدوا صعوبة كبيرة في إقناعهم باعتناق الإسلام، ثم صاروا من أشد الشعوب تعصبا له ودفاعا عنه، بل ساهموا في نشره.[6]

---

[1] مؤنس حسين، فتح العرب، ص 6.

[2] طه عبد الواحد ذنون، مرجع سابق، ص 47.

[3] Gautier E. F., op. cit., p. 204.

[4] العبادي أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، (د ت). ص 16.

[5] ابن خلدون، مصدر سابق، مج 6، ق 1، ص 370-373.

[6] طه عبد الواحد ذنون، مرجع سابق، ص 47-48؛ العبادي أحمد مختار، مرجع سابق، ص 16-17.